

مرتاض يؤكد على وجود إبداع شعري، دون وجود نقد حديث يرقى إلى مستواه. يقول: "ولم يحظ الشعر الجزائري قديمه وحديثه جميعه بدراسات نقدية تتخذ منهاجاً تطبيقياً حديثاً، بكل ما يحمل مصطلح الحداثة من معنى الجدة والاستشراق والقلق، يكون قادراً على إلغاء الضياع على هذا الشعر ومن حيث ما ينهض عبره من خصائص وظواهر وأبعاد ورؤى وقيم" (16) وانطلاقاً من هذا الزعم، فقد عدّ هذا الناقد الدراسات السابقة غير راقية إلى مستوى النظرية النقدية وكانت في مجملها رسائل جامعية "لنيل درجة جامعية لاكتساب القوت اليومي، أكثر من ابتغاء التوصل إلى نتائج علمية مثيرة أو تأسيس منهج في الدرس رصين" (17).

ويبدو أن لهذا الرأي الكثير من الوجاهة، ولكنه يحتاج إلى استقصاء كل الدراسات الجامعية، مع العلم أن أغلبها مخطوط مقيد ببعض المكتبات. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الجامعة عندنا تعيش مرحلة التشكل، وربما تحتاج إلى فترة زمنية أخرى حتى تصل إلى مرحلة النضج، وقد ينسحب هذا حتى على المجتمع في ما بعد الاستقلال. وتختلف النقد مرهون بتخلف مجتمعنا، لأن: "النقد الأدبي مثله في ذلك مثل أي إيقاع ثقافي آخر مشروط بجملة بيئته العامة..." وهو لا ينمو إلا بعد نمو إجمالي للحركة الثقافية التي تحيط به من جميع الجهات، فلا بد أولاً من أن تتطور العلوم التي يملك النقد الأدبي أن ينبع منها. كعلم اللغة وعلم النفس، وعلم التاريخ، والفلسفة، وما من أحد يجهل أن هذه العلوم لم تتطور بعد في العالم العربي إلى حد النضج، فكيف يمكن له أن ينضج وقد انسدت أمامه هذا الأفق الخصيب" (18). ولعل في هذا الزعم رداً على مقولة شابيرو السالفة (ينتعش النقد عندما يفشل الأدب). ونسأل: هل وصل الشعر الجزائري العربي إلى مرحلة النضج؟ قد تكون بعض النصوص وصلت فعلاً ولكن أغلب النصوص الشعرية تبقى محل جدل لدى الجمهور الذي يبحث عن أسلوب تعبيرى يتمشى وطموحه، وقد تكون تلك النصوص بعيدة عن هذا الطموح. ولا شك في أن أدبنا ونقده يعانيان كثيراً من القصور في تأدية رسالتهما، فلا الأدب استطاع أن يضمن ذلك الحضور الفعلي وسط الجمهور ولا النقد الأدبي استطاع أن يكون فاعلاً في الجمهور، وربما يرجع هذا إلى أن كلا من الأديب والناقد يقف موقف الحائر أمام طريقتين، طريق التراث وطريق الحداثة.

وإن ركب أحدهما فإنه لا يضمن لنفسه الوصول وإن حاول المزج واجهته